معرفة الله تعالى العقلية

(دراسة تحليلية في اثر آيات الكتاب الكريم وروايات العترة الطاهرة)

Mental knowledge of God Almighty

(An analytical study on the impact of the expository narrations)

Prof. Dr. Jassim Hato Fakher Al-Moussawi **أ.د. جاسم هاتو فاخر الموسوي**

Faculty of Jurisprudence/University of Kufa **كلية الفقه / جامعة الكوفة**

jasimh.almusawi@uokufa.edu.iq

ملخص

إن مسألة التوحيد الإلهي هي أساس البحث الكلامي ومحوره، ولا يخرج البحث عنها بأي شكل من الأشكال، والأداة المعرفية لتحقيق هذه المسألة هو العقل، ولا كلام في قيمته المعرفية إلا أن نتائجه قد تكون خطيرة فيما لو استعمل في أقيسته بعض المقدمات الخاطئة أو الشكل المنطقي غير المنتج،وآزره غرور الإنسان وعناده؛ لذا استعان المتكلم في بحثه بالوحي إلى جانب البرهان العقلي، حذرا من مزالق الفكر الإنساني، فإذا اجتمع العقل والوحي تكون النتائج أكثر دقة معرفية، ومن هنا أصر المتكلم الإمامي على الاستعانة بالوحي بشكل تام في مباحث التوحيد، فحرص على عرض مباحثه بالكامل على آيات الكتاب الكريم والروايات الشريفة الطاهرة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، وهذا ما سيتضح من خلال هذا البحث الذي سنقتصر فيه على معرفة الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: التوحيد الذاتي، المعرفة الضرورية، المعرفة النظرية، العقل، النقل.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

Abstract

The issue of divine monotheism is the foundation and focus of theological research, and research cannot deviate from it in any way. The cognitive tool for investigating this issue is reason, and there is no question of its epistemological value, except that its results may be dangerous if its arguments are based on some false premises or an unproductive logical form, aided by human arrogance and stubbornness. Therefore, the theologian relied on revelation in his research alongside rational proof, to guard against the pitfalls of human thought. When reason and revelation are combined, the results are more epistemologically accurate. Hence, the Imami theologian insisted on fully relying on revelation in his discussions of monotheism, and he was careful to present his discussions entirely on the verses of the Holy Qur'an and the pure, honorable narrations transmitted from the infallible and pure Ahl al-Bayt (peace be upon them). This will become clear through this research, which will limit itself to knowledge of God Almighty.

Keywords: Self-monotheism, necessary knowledge, theoretical knowledge, reason, transmission.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

مقدمة

إنّ معرفة الله تعالى خالق الوجود واجبة بالبرهان العقلي القاطع كما ثبت في محله من البحث، وهذه المسألة تعرف في الكتب الكلامية بمسألة وجوب المعرفة الإلهية.

لكن ما هي طرق هذه المعرفة؟ هذه المسألة تعرف في كتبهم الكلامية بمسألة طرق المعرفة الإلهية، وموقعها من البحث من حيث الأهمية والترتيب المنطقي بعد مسألة وجوب المعرفة الإلهية وبراهينها، فما لم يتم إثبات وجوب المعرفة لا جدوى من البحث عن طرقها، وقد سلكوا لتحصيل هذه المعرفة مسالك ثلاثة أخذوا مادتها بنحو شبه تام من آيات الكتاب العزيز والرواية الشريفة الواردة بذيلها أو المبينة لمضامينها، وهذا كاشف عن مستوى تأثير هذه الرواية في هذا المبحث الكلامي، وهذه المسالك عبارة عن:

الأول: المشاهدة النفسية للوجود المجرد للوصول من خلال هذه المشاهدة المجردة للحق تعالى، فهو سير أنفسي مجرد في تجليات الحق جل شأنه ومظاهره وآثاره الوجودية العلوية المجردة عن المادة وآثارها، وهذا هو مسلك السير الأنفسي لمعرفة الحق جل شأنه.

الثاني: المشاهدة الحسية للوجود المادي للوصول من خلال هذه المشاهدة المادية للحق تعالى، فهو سير مادي في تجليات الحق جل شأنه ومظاهره وآثاره الوجودية السفلية المادية وآثارها، وهذا هو مسلك السير الأفاقي لمعرفة الحق جل شأنه.

وقد أرشد هذان الطريقان إلى معرفة الحق جل شأنه قوله تعالى: (**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**) [فصلت/٥٣]، فالآية الكريمة فيها دلالة ظاهرة على أن

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المشاهدات الآفاقية الحسية والنفسية المجردة توصل إلى معرفة الله تعالى، وهذه مشاهدة عامّة، وهي مشاهدة الحق تعالى في خلقه بقرينة (**سَنُرِيهِمْ**)؛ إذ الخطاب فيه عام.

وكذا فيها دلالة ظاهرة على مشاهدة أخرى هي مشاهدة الخلق في الحق تعالى (**أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**)، وهذه مشاهدة خاصّة بقرينة (**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ**)؛ إذ الخطاب فيها خاص لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا اللون من المعارف يحتاج دركه لمستوى خاص من المعرفة كما تشهد لذلك الروايات الشريفة المبينة للآية الكريمة، ومنها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام في الآية (**حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ**)، قال: (دع ذا) [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ ش، ج٨، ص١٦٦].

فالرواية فيها دلالة وإرشاد إلى ستر الأئمة لبعض المعارف التي يتطلب فهمها بعض الأصول المعرفية والعقلية التي لم تكن معروفة آنذاك، وكان الاعتماد على التعبد، ومن هنا كان تركيز أئمة الهدى على مسألة حجتهم وأنهم حجج الله على خلقه، وهذا شبيه بقصة العبد الصالح مع نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: (**قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا . قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا . قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**) [الكهف/ ٦٦ . ٧٠]، فقد اخبره أن لا يسأله؛ لأنه لن يحتمل الإجابة؛ لحاجتها إلى أصول معرفية خاصة كما يرشد لذلك قوله تعالى: (**وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**)[الكهف/ ٦٨]، وما نحن فيه من هذا القبيل، لذا احتاجت استفادة الأصل منها إلى تدبر وتأمل.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الثالث: المشاهدة العقلية لمطلق الوجود اعم من الوجود المجرد والمادي للوصول من خلال هذه المشاهدة العقلية للحق تعالى، فهو سير عقلي في تجليات الحق جل شأنه ومظاهره وآثاره الوجودية وآثارها، وهذا هو مسلك السير العقلي لمعرفة الحق جل شأنه.

وقد أرشد لهذا الطريق لمعرفة الله تعالى الآيات الكريمة التي دعت للتعقل لأجل الاهتداء إليه تعالى ومعرفته جل شأنه، كقوله تعالى في ذم الكفار وجحودهم خالق الوجود بتركهم التعقل: **(وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)** [البقرة/١٧١]، وكذا الآيات الكريمة التي ذكرت بعض الأمثلة والبراهين العقلية والأقيسة المنطقية للوصول للحق تعالى، كقوله تعالى: **(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)** [الأنبياء/ ٢٢].

فقد نصب الحق تعالى لمعرفته والوصول إليه طرق ثلاثة، الأول طريق النفس والإدراك المجرد لمظاهره تعالى وآثاره المجردة وهو مسلك السير الأنفسي، والثاني طريق الحس والمشاهدة المادية لمظاهره تعالى وآثاره المادية وهو مسلك السير الأفاقي، والثالث العقل والمشاهدة العقلية لمظاهره تعالى وآثاره الكلية وهو مسلك السير العقلي.

وسنقتصر في هذا البحث على الإشارة إلى البيان الكلامي لمسلك السير العقلي، والأساس الروائي لمواده؛ لأن المسلكين الأوليين شخصيان جزئيان، بخلاف الثالث فهو طريق عام كلي، وهو الأصل فيها ومحل جدل كبير:

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الأول: حقيقة المعرفة العقلية وامكانها

إنّ (العقل) في الأصل من التثبت والإمساك والامتناع والشدّ والحبس [انظر: الجواهري، ١٤٠٧هـ، ج٥، ص١٧٦٩، مادة [عقل]. الزبيدي، ١٣٠٦هـ، ج١٥، ص٥٠٤، مادة: عقل]، وفي الصحاح عن الأصمعي هو مصدر عقلت البعير أَعْقِله عقلاً إذ منعته من السير [انظر: الجواهري، ١٤٠٧هـ، ج٥، ص١٧٧١، مادة: عقل]، ويقال: عَقَلَ الرجل إذا كفّ نفسه وشدّها وحبسها [انظر: الزبيدي، ١٣٠٦هـ، ج١٥، ص٥٠٥، مادة: عقل]، والعاقل: الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها، فسُمي العقل عقلا، لأنّه يعقل ويحبس صاحبه عن التورّط في المهالك [انظر: الزبيدي، ١٣٠٦هـ، ج١٥، ص٥٠٤، مادة: عقل]، فأصل مادة (عقل) تدل على حُبسةٍ في الشيء أو ما يقارب الحبسة، ومن ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل [انظر: أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، ١٤٠٤هـ، ج٤، ص٦٩، باب العين والقاف وما يثلثهما في الثلاثي، مادة: عقل].

وفي اصطلاح المتكلمين: أداة إدراكية يستطيع الإنسان بواسطتها إدراك المفاهيم أعم من المفاهيم الجزئية والكلية، فالعقل يدرك كلا النوعين من المفاهيم غاية الأمر أنه يدرك المفاهيم الجزئية بتوسط ومساعدة الحواس بخلاف المفاهيم الكلية فيدركها بشكل مستقل ودون الحاجة إلى مساعدتها، وضمها لبعضها، وإدراك مفاهيم جديدة، وهناك معاني أخرى لا ضرورة لذكرها، قال صدر الدين الشيرازي بعد تحقيق النفس وقواها: **(فإذا يتحقق هاهنا أمور ثلاثة، الأول: القوة التي يكون بها التميز بين الأمور الحسنة والأمور القبيحة. والثاني: المقدمات التي منها تستنبط الأمور الحسنة والقبيحة.**

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

والثالث: نفس الافعال التي توصف بأنها حسنة أو قبيحة. واسم العقل واقع على هذه المعاني الثلاثة بالاشتراك الأسمى. فالأول هو العقل الذي يقول الجمهور في الإنسان انه عاقل...). [صدر المتألهين، ١٩٨١م، ج٤، ص٣٦٨، ص٤١٨].

المطلب الأول: العقل وإمكانية إثبات الصانع تعالى

هل أن الإدراك منحصر بالعقل غاية الأمر أن مدركاته تارة بتوسط الآلة وهو الإدراك الجزئي وتارة بدون توسطها وهو الإدراك الكلي؟ أم أنه (الإدراك) لا ينحصر به (العقل) وأنّ هناك أدوات إدراكية أخرى مستغنية عن العقل وهي الحس والنفس؟

اتفقوا على حصر الإدراك الكلي بالعقل، واختلفوا في الإدراك الجزئي، فمنهم من حصره بالعقل أيضا مع حاجته فيه إلى توسط الحواس والنفس، ومنهم من عدّاه إلى الحس والنفس، فلا يحتاجان في مدركاتهما إلى العقل، فهما أدوات إدراكية مقابل العقل، وكل أداة لها محيطها الخاص، فالحواس محيطها المحسوسات، والنفس محيطها المجردات، والعقل محيطه المفاهيم الذهنية.

وتعدد المسالك في الطريق إلى الله تعالى يتوقف على تعدد الإدراك، وهو مع تعدده إلا أن الجائز منه على الحق تعالى هو الإدراك العقلي فقط، فالطريق إلى الله سبحانه منحصر بالعقل، قال السيد المرتضى: **(إن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو العقل، ولا يجوز أن يكون السمع)** [السيد المرتضى، ١٤١٤هـ، ج١، ص١٢٨].

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

فلا يمكن إدراكه تعالى بالحواس المادية ولا بالنفس والمشاهدة الحضورية وإنما بواسطة العقل والمفاهيم الذهنية غاية الأمر تارة يكون مستقلا في مواد برهانه ومفاهيمها المدركة، وتارة أخرى يكون غير مستقل فيها وبتوسط الحواس والنفس، ولا خلاف في حاجة العقل إلى مساعدتهما في إدراك الجزئيات.

إذن العقل بحاجة إلى الحواس المادية لإدراك الوجود الخارجي الجزئي المادي، ويحتاج أيضا إلى النفس المجردة لإدراك الوجود الخارجي الجزئي المجرد عن المادة، فلا يدرك العقل الوجود الخارجي بذاته، وإنما إدراكه له بتوسط المفاهيم، فهو يدرك المفاهيم التي يحاكي بها ذاك الوجود، فعالمه ومحيطه هو الذهن لا الخارج بخلاف الحس والنفس فعالمهما ومحيطهما . على القول بأنهما أدوات إدراكية مقابل العقل . هو الخارج؛ إذ الإدراك الحاصل منهما (الحواس والنفس) هو إدراك للوجود الخارجي المادي والمجرد.

ومن هنا يتضح أن عالم الحواس ومحيطها هو الوجود الخارجي المادي، وعالم النفس ومحيطها هو الوجود الخارجي المجرد، وعالم العقل ومحيطه هو الوجود الذهني المفهومي، ويظهر من خلاله الإشكال في حصر الإدراك بالعقل؛ إذ يوجب ذلك غلق إدراك الوجود الخارجي بالأصالة مطلقا إلا بواسطة المفهوم الذهني.

وكيفما فرض فلا طريق لإثبات خالق الوجود إلا العقل؛ إذ لو شاهدا (الحس والنفس) أعجب الصنع فسيتوقف إدراكهما عند هذا الحد، وسيكتفيان بالحكم أنهما يشاهدان صنعا عجيبا، ولا يستطيعان الانتقال لأبعد من ذلك، فهذا هو غاية إدراكهما وغاية ما يمكن أن يصلا إليه، ونهاية طريقهما،

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وأما الاستمرار بالسير فيحتاج إلى العقل، فهو يدرك من خلال مشاهدات الحس والنفس حاجة المُشاهَد إلى المُوجِد والصانع، فالحس والنفس والعقل يكمل بعضهم البعض، فهما طريقه إلى الوجود الخارجي، وهو طريقهما إلى مُوجِده.

فلا يمكن للعقل في إثبات الصانع تعالى الاستغناء مطلقا عن مشاهداتهما من خلال قدرته على خلق المفاهيم والعالم الذهني الافتراضي؛ إذ أصل الكلام ولبه هو إثبات الوجود الخارجي الخالق وراء الوجود الخارجي المخلوق؛ ولذا تنطلق البراهين العقلية على إثبات الصانع جل شأنه من إثبات الواقعية الخارجية، فمن دونها لا يمكن إقامة البرهان العقلي، وحتى برهان صدر الدين الشيرازي الذي اسماه بـ (برهان الصديقين) يحتاج إلى إثبات الواقعية الخارجية أيضا، فهي أصل لكل البراهين العقلية على إثباته تعالى؛ إذ الكلام في إثبات أصل الوجود، فإذا أنكر أحدهم مكابرة الواقعية الخارجية فلا يبقى أصل لإثبات الوجود وأصله، وإثباتها (أي الواقعية الخارجية) منحصر بالحس والمشاهدة (النفس).

وهل يحتاج العقل في علمه ونتائجه إلى المسموع من الشرع؟ ذهب الشيخ المفيد إلى حاجته إلى ذلك وأدعى اتفاق الامامية عليه، قال: (**اتفقت الامامية على أن العقل محتاج في علمه ونتائجه إلى السمع، وأنه غير منفك عن سمع ينبه العاقل على كيفية الاستدلال**) [الشيخ المفيد، ١٤١٤هـ، ص٤٤].

وهذا الاتفاق إنما هو في عصره وإلا فكلام السيد المرتضى ومبناه في الطريق إلى معرفة الله تعالى صريح في استقلال العقل في ذلك وغناه عمّا سواه.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

قال السيد المرتضى: (**إن الطريق إلى معرفة الله تعالى هو العقل، ولا يجوز أن يكون السمع، لأن السمع لا يكون دليلا على الشئ إلا بعد معرفة الله وحكمته، وأنه لا يفعل القبيح ولا يصدق الكذابين، فكيف يدل السمع على المعرفة. ووجه دلالته مبني على حصول المعارف بالله حتى يصح أن يوجب عليه النظر. ورددنا على من يذهب من أصحابنا إلى أن معرفة الله تستفاد من قول الإمام، لأن معرفة كون الإمام إماما مبنية على المعرفة بالله تعالى. وبينا أنهم عولوا في ذلك على أن معرفة الإمام مبنية على النظر في الأدلة. فهو غير صحيح...**) [السيد المرتضى، ١٤١٤هـ، ج١، ص١٢٨].

إنّ العقل أداة إدراكية والحاجة إلى الشرع إنما هي في تنبيه الإنسان على العقل وقدرته وطاقته، وتدريبه على استعماله في الإدراك الجزئي والكلي، وتوفير المادة؛ إذ الإنسان بالنسبة للعقل كإنسان الكهوف بالنسبة للسيارة، فهو بحاجة إلى من يشرح له الآلة وقدرتها واستعمالها والطاقة التي تحتاجها لأجل السير، ومن هنا فأصل السؤال ليس هو في حاجة أصل العقل للشرع؛ لأن العقل ينتج وفقا للمادة المتوفرة سواء كانت من الوحي أو الحس أو النفس أو العقل، ولا يحتاج في إنتاجه لما وراءه، وإنما السؤال هو مدى معرفة الإنسان بهذه الأداة الإدراكية (العقل) وطاقتها وكيفية استعمالها؟ الإنسان غافل عن العقل وقدراته ولولا الشرع لبقي في غفلته ولما استفاد منه مطلقا؛ لذا يعد الدين أصل المعارف.

وقد سلك المتكلم مسلك (السير العقلي) في عالم الذهن الذي يحاكي عالم الوجود الخارجي؛ لإثبات إمكان الوصول إلى معرفة الله تعالى، وهو من المسالك التي لا تتحصل للجميع وإنما هو بحاجة إلى استعداد فطري وصقل

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

معرفي لكسب مهاراته، فمزالقه ليست بأقل خطورة من مزالق النفس وهواها أو الجسد وغرائزه؛ إذ يواجه سالكه مشقة إدراك المفهوم وتنوعه ومعانيه ودلالته.

ومن خلال خلق العقل لعالم ذهني مفهومي يحاكي به الوجود الخارجي، يرتبه ترتيبا عقليا منطقيا؛ لإثبات وجوب صدوره عن صانع، واستحالة وجوده بدون هذا الصانع بضرورة العقل؛ لأجل الانتقال منه إلى محاكاة العالم الخارجي وإثبات صدور هذا العالم الخارجي عن الصانع الخارجي، واستحالة وجود هذا العالم الخارجي بدون هذا الصانع الخارجي جل شأنه بضرورة العقل وبداهته.

وهذا البيان العقلي له أصوله المعرفية الخاصة، والمهم هنا بيان مصادرها إلا أنّه ينبغي التنبيه قبل ذلك إلى أن هذا المسلك (السير العقلي) من الأصول العامّة بخلاف سابقيه، ويمكن مشاركة إدراكه مع الآخرين، فهو إدراك عام على هيئة البرهان العقلي، ويمتاز. مضافا إلى جواز كلية صغراه باعتبار أنها عقلية. بعدم حاجته إلى المقدمات الحسيّة المادية والنفسية المجردة وإنما يعتمد في مقدماته كلها على الإدراك العقلي المحض؛ لذا قد يتألف هذا البرهان من كليتين.

إن الإنسان بعقله يدرك من خلال خلقه لعالم ذهني مفهومي حاجة هذا العالم الذهني إلى الخالق واستحالة وجوده بدونه بضرورة العقل، وبما أن هذا العالم الذهني متعلق بالإنسان، فخالقه هو الإنسان، وهو جزء من عالم آخر هو العالم الخارجي، فهذا العالم الخارجي بجميع متعلقاته (الإنسان والوجود الذهني) محتاج في وجوده للخالق الخارجي واستحالة وجوده بدونه بضرورة العقل.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

فالإنسان العاقل من خلال هذا الاصطفاف المفهومي، والمشاهدة الذهنية، والسير العقلي، يدرك مُوجِد العالَم، فهو ينتقل من المشاهدة الذهنية لاستحالة صدور الموجود الذهني بدون صانع إلى إثبات خالق الوجود الخارجي.

وهذا برهان عقلي على شكل قياس منطقي من الشكل الأول: أن العقل الإنساني أداة إدراك مفهومية (أي إدراك المفاهيم)، وكل أداة إدراك مفهومية تدرك أن الوجود المفهومي الذهني له صانع بالضرورة ويستحيل وجوده بدون هذا الصانع، فعقل الإنسان يدرك أن الوجود المفهومي الذهني له صانع بالضرورة ويستحيل وجوده بدون هذا الصانع، فإذا كان الوجود المفهومي مفتقر في وجوده وعدمه للصانع بالضرورة فالوجود الخارجي مثله؛ لأنهما مشتركان في أصل الوجود، وحكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد.

وينبغي التنبيه إلى أن المحتاج للعلة هو الوجود، وأما العدم فيكفي فيه عدم العلة، وهذا الاستطراد في الكلام اقتضته الضرورة، فما لم يفهم أصل المسألة الكلامية يتعذر بيان دور النقل فيها وتأثيره عليها؛ لأجل اكتشاف مدى تأثيره في هذا المسلك، ولا ينبغي الخلط بين النقل الوارد في هذا المسلك والنقل الوارد في المبحث الثالث الآتي، فأمّا المبحث الثالث فسنشير فيه إلى بعض النقل المبيّن لنماذج من البراهين العقلية على إثبات الصانع تعالى كبرهان الإمكان والوجوب، وأما هنا في هذا المسلك فسنشير إلى النقل الوارد في إمكان العقل إثبات الصانع تعالى وانحصار طريق إثباته سبحانه به، فمهما كان لون المشاهدات الإنسانية وبدائع الصنع فلا ينتفع بها الإنسان ولا يستطيع الوصول لما وراءها من الصانع تعالى بدون العقل.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المطلب الثاني: إشارات النقل إلى إمكان العقل إثبات الصانع تعالى

لقد أرشد إلى كبرى برهان المسلك الآنف وصغراه النقل ونبّه عليهما بشكل بيّن على مستوى آيات الكتاب العزيز وروايات العترة الطاهرة، وإليك نزر منها:

١. النقل الوارد في إثبات كبرى القياس أي الإدراك العقلي، فهذا الأصل من القضايا الكلية التي أدركها العقل بمساعدة الحس، وإليك نزر من ذلك:

أما الآيات الكريمة فقد جاءت مفردة (**يَعْقِلُونَ**) في الكثير منها [انظر: البقرة/ ١٦٤، ١٧٠، ١٧١. المائدة/ ٥٨، ١٠٣. الأنفال/ ٢٢. يونس/ ٤٢، ١٠٠. الرعد/ ٤. النحل/ ١٢، ٦٧. الحج/ ٤٦. الفرقان/ ٤٤. العنكبوت/ ٣٥، ٦٣. الروم/ ٢٤، ٢٨. يس/ ٦٨. الزمر/ ٤٣. الجاثية/ ٥. الحجرات/ ٤. الحشر/ ١٤].

تارة في مقام ذم ترك التعقل كما في قوله تعالى: (**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**) [الأنفال/ ٢٢]، وتارة في مقام مدح التعقل كما في قوله تعالى: (**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**) [الرعد/ ٤]، وتارة في مقام ذكر علة الضلال وأنّ الكفار إنما ضلوا عن الاهتداء إلى خالق الوجود لتركهم العقل كما في قوله تعالى: (**أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ**) [يونس/ ٤٢].

إنّ هذه الآيات الكريمة المبينّة بمجموعها أن الآيات والبينات والحجج والبراهين إنما ينتفع بها أهل العقل دونما سواهم، فيها دلالة ظاهرة على أن العقل هو الطريق إليه تعالى.

وأما الروايات الشريفة، فعلى قسمين:

الأول: الروايات الخاصة أي الواردة بمعيّة الآيات الكريمة، ومنها ما رواه الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن الحسن بن محمد النوفلي، عن الإمام الرضا عليه السلام، وفيه أنه قال بعد الاستشهاد بآيات العقل: (**لأن الله عز**

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وجل جعل علم ذلك خاصة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون) [الشيخ الصدوق، ١٤١٧هـ، ص٤٣٨، باب ذكر مجلس الرضا علي بن موسى عليهما السلام مع أهل الأديان وأصحاب المقالات].

ومنها ما رواه في التوحيد بسنده عن هشام بن الحكم من أن أبا شاكر الديصاني طلب من الإمام الصادق عليه السلام الدليل على حدوث العالم فاستدل عليه السلام له بالمدركات الحسية وتغير المشاهدات، فأثنى أبو شاكر على استدلال الإمام عليه السلام بالحواس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: **(ذكرت الحواس الخمس، وهي لا تنفع شيئا بغير دليل، كما لا يقطع الظلمة بغير مصباح)** [الصدوق، ١٣٩٨ش، ص٢٩٢ . ٢٩٣، ح١، باب إثبات حدوث العالم]، فهذه الرواية كالنصّ في أنّ الانتقال لما وراء المدرك الحسي لا يمكن من دون توسط العقل، وأنّ المشاهدات لا يمكن الانتفاع بها في إثبات الصانع تعالى بدون العقل وأنه الطريق إليه سبحانه..

ومنها ما رواه في التوحيد أيضا بسنده عن أبي معمر السعداني أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل أتاه زعم أنه وجد الكتاب الكريم يكذب بعضه بعضا: **(إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضا ولا يكذب بعضه بعضا، ولكنك لم ترزق عقلا تنتفع به)** [الصدوق، ١٤٠٤هـ، ص٢٥٥، باب الرد على الثنوية والزنادقة]، فدلالة الرواية ظاهرة في أن الإنسان لا ينتفع بالكتاب الكريم بدون عقل نافع، وفيه تلميح إلى أن الإنسان ذو عقل، وأنّه يستعمل فيما ينفع وفيما لا ينفع، وأن استعماله بشكل نافع أهم عطاياه.

والروايات في ذلك كثيرة لا تخفى على المتتبع.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الثاني: الروايات العامة أي التي لم ترد بمعيّة الآيات الكريمة إلا أنّها مبيّنة لمضامينها وشارحة لها، وهي كثيرة في المورد، وقد أفرد الشيخ الكليني في الكافي كتابا لروايات العقل وأهمية التفكر [الشيخ الكليني، **١٣٦٣ ش**، ج١، ص١٠، ح٥، كتاب العقل والجهل]، وقد روى فيه (٣٤) رواية، منها ما رواه بسنده عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام، وفيه: (**ما خلقت خلقا هو أحب إلي منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إني إياك آمر، وإياك أنهى وإياك أعاقب، وإياك أثيب**) [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج١، ص١٠، ح١].

٢. النقل الوارد في إثبات صغرى القياس أي أن الإنسان ذو عقل، فهذه من المقدمات الحسية المحضة، وقد احتج الوحي بها على الإنسان على مستوى الآيات الكريمة والروايات الشريفة، فدعا إلى التعقل والنظر.

فجواب: ما الدليل على أن الإنسان ذو عقل إدراكي مفهومي؟ هو: الحس المستقل، فذلك مما استقل به الحس بشكل تام، وقد نبّه عليه النقل واحتج به على الإنسان وخاطبه به على مستوى القرآن الكريم والرواية الشريفة العامّة:

أما الآيات الكريمة فقد نبّه الذكر الحكيم على أن الإنسان ذو عقل؛ ويمكنه من خلاله إدراك حاجة الوجود لموجد وصانع، ومنها قوله تعالى: (**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**) [الحج/٤٦]، فهذه الآية الكريمة ظاهرة الدلالة في أن الخلل في عدم اهتداء الإنسان لخالق الوجود تعالى هو عمى عقله، وتعطيله، وعدم استعماله حتى أُصيب بالعمى، فأدوات الإدراك الأُخرى قامت بواجبها على أتم صورة إلا أن الخلل في عدم استعمال الإنسان العقل لأجل إدراك ما وراء تلك المدركات.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وأما الروايات الشريفة، فعلى قسمين:

الأول: الروايات الخاصة، ومنها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (**اهتدى من أبصر وعقل، إن الله عز وجل يقول: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَـٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"، وكيف يهتدي من لم يبصر؟ وكيف يبصر من لم يتدبر؟**) [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ ش، ج١، ص١٨٢، ح٦، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام].

ومنها ما رواه الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه، عن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: (**إنما الأعمى أعمى القلب؛ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**) [الشيخ الصدوق، ١٤٠٦هـ، ج١، ٣٧٥، ح١١٠٩].

وروى الخزاز القمي في الكفاية في الأحداث الأليمة بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله بسنده عن محمود بن لبيد، عن الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في رواية طويلة، وفيها: (**اختاروا بشهوتهم وعملوا بآرائهم، تبا لهم أو لم يسمعوا الله يقول: "وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ" بل سمعوا ولكنهم كما قال الله سبحانه: "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَـٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ"**) [الخزاز القمي، ١٤٠١هـ].

فهذه الروايات ظاهرة الدلالة في أن علة الضلال والابتعاد عن الهدى هو تعطيل العقل، وقد وردت الأخبار الكثيرة في معطلاته، منها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي في جنود الجهل والعقل، بسنده عن سماعة بن مهران، قال: (**كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه، فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: (اعرفوا العقل وجنده، والجهل وجنده،**

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

تهتدوا) [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج١، ص٢٠، ح١٤]، والرواية طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.

الثاني: الروايات العامة، وهي كثيرة في المورد، منها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **(الحجة فيما بين العباد وبين الله العقل)** [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج١، ص٢٥، ح٢٢]، ودلالته في العقل الإنساني بيّنة؛ إذ لو لم يكن الإنسان ذا عقل لما احتج به عليه الحق تعالى.

وروى الشيخ الصدوق في العيون بسنده عن ابن السكيت أنّه سأل الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام: **(ما الحجة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: "العقل")**[الشيخ الصدوق، ١٤٠٤هـ، ج١، س٨٥، ح١٢].

فهذه الروايات الشريفة ظاهرة الدلالة في أن الإنسان ذو عقل إدراكي، وأن عالمه ومحيطه هو الذهن، فيستطيع بهذا العقل ان يخلق عالماً ذهنياً خاصاً، وهذا العالَم الذهني المفهومي هو أقصى ما يمكنه من الخلق، ولا يتعداه إلى ما وراءه إلا أنه يمكنه تعدية أحكامه العقلية المستنتجة منه، وقواعده العقلية الحاكمة فيه، ونقلها إلى ما وراءه من الوجود الخارجي، فإذا لم يجز صدور عالمه الذهني بلا مُوجِد وصانع لم يجز ذلك على الوجود الخارجي؛ لاشتراكهما في أصل الوجود، فحكم أصل الوجود (أي سواء كان خارجي أو مفهومي ذهني) واحد.

ومن هنا يظهر أن مادة هذا المسلك الكلامي (السير العقلي) في رسم الطريق إلى الله تعالى قد وفرتها آيات الكتاب العزيز ورواية العترة الطاهرة، وهو من الطرق العامّة التي يستطيع أن يسلكها كل ذي عقل ولب سليمين إلى إثبات

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وجود الحق جلّ شأنه، فأصل معرفة الله جل شأنه تنتهي إلى العقل ولا ينتفع بدونه بما ورائها، فالمعني بإثبات وجود الله تعالى هو العقل، وهو المخاطب بالخلق والملك والجلال والنور والبرهان والوحي كما في الأثر الشريف على ما سيأتي [الشيخ الكليني، **١٣٦٣ ش**، ج١، ص٨١، ح٦، كتاب التوحيد، باب حدوث العالم].

ولا ينبغي الخلط بين البرهان العقلي في هذه المسالك الذي غاية ما يثبته هو إمكان المعرفة وأن معرفة الحق تعالى ممكنة، وبين البرهان العقلي في المبحث الثالث الذي غايته إثبات وجوده تعالى، وفرق واضح بين الأمرين، فتارة يقال: إنّ معرفة الله تعالى أمر ممكن، وهذا ما يتكفل به البرهان العقلي في مسالك السير الانفسي والافاقي والعقلي، فهو لا يثبت إلا إمكان معرفته جل شأنه، وتارة يقال: إن الله تعالى خالق الوجود، وهذا ما يتكفل به البرهان العقلي في المبحث الثالث، فهو يثبت . من خلال الوجود المستقل والرابط أو الإمكان والوجوب أو النظم أو القدم والحدوث . وجوده تعالى.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المبحث الثاني: أقسام معرفة اللَّه تعالى العقلية

إنّ الطريق إلى إثبات خالق الوجود جل شأنه هو العقل على ما تقدم إلا أن المعرفة العقلية تنقسم على قسمين، الأول: الضرورية وهي ما لا تحتاج إلى نظر واستدلال، والثاني: النظرية وهي ما تحتاج إلى نظر واستدلال.

والسؤال الذي يطرح في هذا المطلب: هل أن قضية حاجة الوجود للخالق من سنخ المعرفة العقلية الضرورية ليستغنى في إثباتها عن البرهان العقلي أم من سنخ المعرفة العقلية النظرية المفتقرة في إثباتها للبرهان العقلي؟ وإذا كانت من سنخ المعرفة العقلية النظرية فما هو البرهان العقلي على خالق الوجود سبحانه؟

هذه المسألة تعرف في كتب المتكلمين بالبراهين العقلية على وجود اللَّه تعالى، وتعد من حيث الأهمية والترتيب المنطقي بعد مسألتي أدلة وجوب المعرفة الإلهية وطرقها، فما لم يتم إثبات وجوب المعرفة أولا، وبيان مسالك معرفته تعالى وطريقها ثانيا لا جدوى من البحث عن البرهان العقلي على وجوده تعالى.

وبحسب التسلسل المنطقي لمطالب هذا المبحث: إذا كانت معرفة اللَّه تعالى خالق الوجود واجبة، وكانت طرق المعرفة متنوعة، وكانت معرفته تعالى منحصرة بالعقل، فهل أن معرفته تعالى العقلية من سنخ الضرورات أم النظريات؟ وإذا كانت من سنخ النظريات فما البرهان العقلي على وجوده تعالى؟ اختلفت آراء المتكلمين في الإجابة عن هذا السؤال، قال الشيخ المفيد: **(إنّ الفرق المخالفة في هذا الباب كثيرة : منهم من يدعي الضرورة في التوحيد وإثبات الصانع تعالى... ومنهم من يدعي عدم حصول العلم من الدلائل العقلية**

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وانحصار إفادة العلم بالدلائل النقلية مثل أكثر الاخباريين منا ومن العامة...) [الشيخ المفيد، ١٤١٤هـ، ص٣٤١].

ويمكن إجمال هذه الأقوال ضمن نظريتين:

المطلب الأول: المعرفة الضرورية (الضرورة العقلية).

ترى بعض الاتجاهات الكلامية أن معرفة الله تعالى من المعارف الضرورية المستغنية بذاتها عن البرهان العقلي، وبيان ذلك:

إنّ العلم سنخ من الوجود المجرد، وهو حضور وجود مجرد لوجود مجرد آخر، فإذا كان المعلوم حاضرا بوجوده الخارجي سمي هذا العلم بالعلم الحضوري، وإذا كان حاضرا بوجوده الذهني وصورته سمي بالعلم الحصولي.

والعلم الضروري هو قضايا يصدق بها العقل لذاتها أي بدون سبب خارج عن ذاتها، بأن يكون تصور الطرفين مع توجه النفس إلى النسبة بينهما كافيا في الحكم والجزم بصدق القضية، ويقابله العلم النظري.

وقد عرفوا الأخير أي الحصولي بأنه عبارة عن حضور صور الأشياء عند العقل، فإذا كان حضور هذه الصورة عند العقل مجردا ولا يستتبعه حكم سُمي بالتصور، وإذا استتبعه الحكم نفيا أو إثباتا سُمي بالتصديق، ومنه يظهر أن الإدراك العقلي مطلقا من سنخ العلم الأخير أي الحصولي فهما أي العلم الحصولي والإدراك متساوقان، وكذا التصور المطلق أي ما يعم التصور المجرد والتصور المستتبع للحكم (التصديق) الذي ينقسم باعتبار الحالة النفسية إلى اليقين والظن، فالتصديق هو التصور الذي يستتبعه الحكم، وهو ترجيح أحد طرفي الخبر (**فإن كان هذا الترجيح مع نفي احتمال الطرف الآخر فهو "اليقين"**،

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وإن كان مع وجود الاحتمال ضعيفا فهو "الظن") [الشيخ محمد رضا المظفر، ١٩٦٨م، ص٣٢٨].

وهل يشترط في اليقين مطابقة الواقع أم لا؟ خلاف، ومن توابعه عدّ الاعتقاد قسماً من العلم، فهو متوقف على أخذ العلم التصديقي بالاعتبار الأعم أي الشامل للعلم بمعنى اليقين والظن والجهل المركب واعتقاد المقلد.

وأصول اليقينيات هي البديهيات، وهي بحكم الاستقراء: الأوليات، والمشاهدات، والتجربيات، والمتواترات، والحدسيات، والفطريات.

والأوليات قضايا يكفي الحكم والجزم بصدقها تصور الطرفين مع توجه النفس إلى النسبة بينهما، فهي قضايا يصدق بها العقل لذاتها أي بدون سبب خارج عن ذاتها، كقولنا: "الكل أعظم من الجزء، ويقابلها النظريات، فهي قضايا لا يصدق بها العقل لذاتها بل يحتاج فيه إلى سبب خارج عن ذاتها، ومن هنا ينقسم العلم على هذا الأساس إلى العلم الضروري والنظري.

قال الشيخ المظفر: **(الأوليات: وهي قضايا يصدق بها العقل لذاتها، أي بدون سبب خارج عن ذاتها، بأن يكون تصور الطرفين مع توجه النفس إلى النسبة بينهما كافيا في الحكم والجزم بصدق القضية، فكلما وقع للعقل أن يتصور حدود القضية . الطرفين . على حقيقتها وقع له التصديق بها فورا عندما يكون متوجها لها، وهذا مثل قولنا: "الكل أعظم من الجزء" و "النقيضان لا يجتمعان")** [الشيخ محمد رضا المظفر، ١٩٦٨م، ص٣٢٨].

العلم الضروري هو قضايا يصدق بها العقل لذاتها أي بدون سبب خارج عن ذاتها، بأن يكون تصور الطرفين مع توجه النفس إلى النسبة بينهما كافيا في الحكم والجزم بصدق القضية، ويقابله العلم النظري

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النّجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

والفطريات هي قضايا قياساتها معها أي أن العقل لا يصدق بها بمجرد تصور طرفيها كالأوليات، بل لابد لها من وسط إلا أن هذا الوسط ليس مما يذهب عن الذهن حتى يحتاج إلى طلب وفكر، كحكمنا أن الاثنين خمس العشرة، قال الشيخ المظفر: (الفطريات: وهي القضايا التي قياساتها معها أي أن العقل لا يصدق بها بمجرد تصور طرفيها كالأوليات، بل لابد لها من وسط إلا أن هذا الوسط ليس مما يذهب عن الذهن حتى يحتاج إلى طلب وفكر، فكلما أحضر المطلوب في الذهن حضر التصديق به لحضور الوسط معه، مثل حكمنا بأن الاثنين خمس العشرة، فإن هذا حكم بديهي، إلا أنه معلوم بوسط، لأن: الاثنين عدد قد انقسمت العشرة إليه وإلى أربعة أقسام أخرى كل منها يساويه، وكل ما ينقسم عدد إليه وإلى أربعة أقسام أخرى كل منها يساويه فهو خمس ذلك العدد، فالاثنان خمس العشرة) [الشيخ محمد رضا المظفر، ١٩٦٨م، ص٣٣٦].

وترى بعض الاتجاهات الكلامية أن مسألة وجود اللّه تعالى من البديهيات، إمّا بإرجاعها إلى الأوليات، وهي المراد عندهم من الضرورة العقلية، وإمّا بإرجاعها إلى الفطريات.

وهذا السنخ من القضايا والمعرفة العقلية مستغنية بذاتها عن إقامة البرهان، وهي أساس المعرفة العقلية النظرية، فلا يمكن إثبات شئ من النظريات بدون الضرورات العقلية وسائر البديهيات الأخرى.

والإنسان بعقله يدرك خالق الوجود تعالى، وهو في هذا الإدراك مستغنٍ عن البرهان العقلي؛ لأنّ قضية خالق الوجود تعالى من البديهيات الأولية أو الفطرية.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

إشارات النقل إلى معرفة الله تعالى العقلية الضرورية

إنّ هذا الاتجاه العقلي له أصوله المعرفية الخاصة، والمهم هنا هو بيان مصادر هذه الأصول ومادتها، فقد أرشد إليها النقل وخصوصا الرواية الشريفة ونبّه عليه بشكل بيّن، وإليك امثلة من ذلك:--

أما الآيات الكريمة، فمنها قوله تعالى: **(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [إبراهيم/ ١٠]، وهذه الآية الكريمة فيها دلالة ظاهرة على أن قضية خالق الوجود **(فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** من البديهيات الأولية بقرينة **(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ)**؛ إذ الجزم القاطع الذي لا يشوبه شك لا يكون إلا في هذا السنخ من القضايا، كاستحالة اجتماع النقيضين.

فقوله تعالى: **(فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** تنبيه على أن **(السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** والأرض وجود خارجي محتاج للموجد ببداهة العقل، ويشهد لذلك أن الآية الكريمة حكاها تعالى على لسان المرسلين **(قَالَتْ رُسُلُهُمْ)**، فهؤلاء المرسلون ادعوا أنهم رسل الله تعالى إلى العباد، فواجه المرسل إليهم قضيتين، الأولى قضية الرسل، والثانية قضية المرسل جل جلاله، وكأنهم أشكلوا على الرسل بالإشكال الآتي: يفترض بكم أن تثبتوا وجود الله تعالى قبل أن تدعوا أنكم رسله، فكان جواب الرسل أن مسألة وجود الله تعالى مستغنية عن البرهان، فهي من القضايا التي لا يخالطها شك ومستغنية بذاتها عن البرهان، ويكفي في التصديق بها تصور فطر السموات والأرض، وهذه خصائص البديهيات الأولية، وكأن الرسل عليهم السلام أجابوا بأن البرهان إنما يكون على رسالاتهم لا على المرسل جل شأنه فوجوده بشهادة فطر السموات والأرض لا شك فيه.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

واستظهار أن يكون قوله تعالى: **(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** برهان على توحيد الربوبية [العلامة محمد حسين الطباطبائي، ١٤١٥هـ، ج١٢، ص٢٦]، لا يستقيم مع نفي الشك؛ إذ النظريات يصاحبها الشك دائما.

ومنها قوله تعالى: **(أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)** [الروم/ ٣٠]، ومعنى الفطر الشق ابتداء يقولون: أنا فطرت هذا الشئ أي أنا ابتدأته، والمعنى خلق الله الخلق للتوحيد [الشيخ الطوسي، ١٢٠٩هـ، ج٨، ص٢٤٧]، وهذه الآية الكريمة فيها دلالة ظاهرة أيضا على أن قضية خالق الوجود المشار إليه بـ **(لِلدِّينِ)** من البديهيات الفطرية، والمراد بالفطرة الخلق بقرينة **(لِخَلْقِ)**؛ فهذا السنخ من القضايا قياساتها معها، فهناك وجود خارجي، وكل وجود خارجي محتاج في وجود لوجود خارجي ببداهة العقل، كحكمنا أنّ الاثنين خمس العشرة.

وأما الروايات الشريفة، فعلى قسمين:

الأول: الروايات الخاصة، ومنها ما رواه البرقي في المحاسن بسنده عن زرارة، قال: **(سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: "فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"؟ قال: "فطرهم على معرفة أنه ربهم، ولولا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم ولا من رازقهم)** [احمد بن محمد بن خالد البرقي، ١٣٧٠هـ، ج١، ص٢٤١، ح٢٢٤، باب جوامع من التوحيد].

ومنها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت: **("فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا"؟ قال: "التوحيد")** [الكافي، ج٢، ص١٢، ح١].

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

وقد أفرد الشيخ الكليني في الكافي من كتاب (الإيمان والكفر) بابا لأحاديث (فطرة الخلق على التوحيد) روى فيه أربع روايات عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام من طريق هشام بن سالم وعبد الله بن سنان وزرارة و محمد الحلبي [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج٢، ص١٢ . ص١٣].

ودلالة الروايات في عدّ وجوده تعالى من الأمور الفطرية التي جبل الإنسان عليها بيّنة، ولازم ذلك غناه عن البرهان العقلي.

الثاني: الروايات العامة الدالة بظاهرها على أن وجوده تعالى أظهر مراتب الوجود وأشدها، وما سواه تعالى ظاهر به لا العكس، فلا يوجد ما هو أظهر وأوضح من وجوده تعالى ليستدل به عليه (**سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**) [الصافات/ ١٥٩]، فهو تعالى أساس المعرفة، وهو البرهان على غيره لا العكس، وهو تعالى الدليل على الخلق لا العكس، ومنها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن منصور ابن حازم، قال: **(قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني ناظرت قوما فقلت لهم: إن الله جل جلاله أجل وأعز وأكرم من أن يعرف بخلقه بل العباد يعرفون بالله، فقال: "رحمك الله")** [الشيخ الكليني، **١٣٦٣ ش**، ج١، ص٨٦، ح٣].

وروى بسنده عن الفضل بن السكن، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: **(قال أمير المؤمنين عليه السلام: اعرفوا الله بالله)** [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج١، ص٨٦، ح١].

وقد أفرد الشيخ الكليني في الكافي من كتاب (التوحيد) بابا لأحاديث (أنه تعالى لا يعرف إلا به جل شأنه) روى فيه ثلاث روايات عن أئمة الهدى من آل

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

محمد عليهم السلام من طريق الفضل بن السكن وعلي بن عقبة ومنصور بن حازم [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج٢، ص١٢ . ص١٣].

وهذه الروايات الشريفة ظاهرة الدلالة في أن وجوده تعالى من سنخ القضايا المستغنية بذاتها عن إقامة البرهان على صدقها التي هي أساس المعرفة، وهو تعالى الدليل على خلقه لا العكس، فلا يكون لغيره من الظهور ما ليس له حتى يستدل به عليه كما رُوي ذلك عن الإمام الحسين عليه السلام في دعاء عرفة: **(كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟)**.

وقد وردت بهذا المعنى روايات كثيرة، منها الروايات التفسيرية الحافّة بقوله تعالى: **(اللَّه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [النور/ ٣٥]، ووجه الدلالة أنّ النور ظاهر بنفسه مظهر لغيره، فمثله سبحانه وما سواه مثل النور والظلمة، وقد أُشير لذلك في رواية العباس بن هلال التي رواها الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام في قوله تعالى: **(اللَّه نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)، قال: (هاد لأهل السماء، وهاد لأهل الأرض)** [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج١، ص١١٥، ح٤].

ومن هنا يتضح أن مادة هذا المسلك قد أُشير إليها بشكل كامل في آيات الكتاب العزيز وروايات العترة الطاهرة، فيكون دورها فيه أكثر من التأثير.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المطلب الثاني: المعرفة النظرية (النظرية العقلية)

ترى بعض الاتجاهات الكلامية أن معرفة الله تعالى من المعارف العقلية المفتقرة إلى البرهان العقلي؛ لأنّ البديهيات لا يختلف فيها العقلاء؛ ولذلك نشاهدهم لا يختلفون في أن (الكل أعظم من الجزء) و (النقيضان لا يجتمعان) و(الاثنين خمس العشرة) وأمثالها، بينما قضية أن (الله تعالى خالق الوجود) اختلف فيها العقلاء من كل أمة في كل عصر، على أن المنع من إقامة البرهان العقلي على وجوده تعالى مع انتفاء البداهة يستلزم انسداد باب معرفته بشكل تام؛ لأنّ طريق معرفته تعالى منحصر بالعقل على ما تقدم، والوحي ممنوع، فلا يكون الشئ في الاحتجاج دليلا على نفسه، ومن هنا اوجب جمهور المتكلمين النظر على المكلفين وأنّه أول الواجبات [أنظر: الشيخ المفيد، ١٤٠٣هـ، ص١٦٣، القول (٣٠) إن المعرفة بالله تعالى اكتساب].

فلا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بالبرهان العقلي، وهو ترتيب المقدمات لتوصل بها إلى النتائج، ولا تكون النتائج صحيحة إلا إذا كان الترتيب صحيحا والمقدمات صادقة، فكما يجب في استقامة النتائج أن تكون المقدمات صادقة كذلك يجب أن يكون ترتيبها صحيحا، فإذا كانت المقدمات نظرية فلابد أن تنتهي إلى البديهيات دفعا للدور أو التسلسل؛ إذا لو لم تنتهِ إلى البديهيات افتقرت إلى مقدمات وهكذا.

وقضية وجود الله تعالى وإنْ كانت من المعرفة العقلية النظرية، وغير مستغنية بذاتها عن إقامة البرهان إلا أنّها ثابتة بالعقل القاطع؛ لصدق مقدمات برهانها، إمّا لكونها من البديهيات وإمّا لكونها من المقدمات التي تنتهي إليها، ولاستقامة هيئته، فإذا كانت المقدمات صادقة والهيئة والترتيب مستقيما

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

صحت نتائج البرهان العقلي بالضرورة، فلا يخطأ العقل إلا إذا فسدت المقدمات أو ترتيبها.

ومن هنا ترى بعض الاتجاهات الكلامية الأخرى أنّ الإنسان بالبرهان العقلي القاطع يدرك خالق الوجود تعالى، وهذا الإدراك وإن كان غير مستغن عن البرهان العقلي إلا أنّه قاطع وصادق؛ لأنّ مقدماته صادقة وترتيبها صحيح.

إشارات النقل إلى معرفة اللّه تعالى العقلية النظرية

إنّ هذا الاتجاه العقلي له أصوله المعرفية الخاصة أيضا التي أرشد إليها النقل ونبّه عليها:

أما الآيات الكريمة، فمنها الآيات التي ندبت إلى مشاهدة الكون وموجوداته وفطر السموات والأرض للاهتداء إليه وإثبات وجوده، ولا تغني هذه المشاهدات إلا من خلال العقل؛ ولذلك حصرها تعالى بأصحاب العقول **(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)** [البقرة/ ١٦٤]، فهذه المشاهدات لا تغني في إثبات وجوده تعالى بدون العقل، ولو كان وجوده تعالى غني في إثباته عن العقل لما أرشد في الذكر الحكيم إلى استعماله في معرفته ونبّه على أنّ الضلال وإنكار وجوده سبحانه لتعطيل العقول؟

ومنها قوله تعالى: **(لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)** [الأنبياء/ ٢٢]، فهذا مثال قرآني على هيئة استدلال عقلي على توحيده تعالى، فلو كان العقل ممنوع

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

فيه لما ضربه تعالى مثلا في الذكر الحكيم، ووجه الدلالة ظاهر؛ إذ أن التعدد دليل النقص والحاجة، وهما علامة الإمكان، والممكن لا يكون إله، وإذا لم يكن إله لما وجدتا (لفسدتا)، فالوجود دليل الوحدة.

وقد ذكرت وجوه أُخرى في بيان الآية الكريمة، منها أن تعدد الآلة واختلافهم في ذواتهم يؤدي إلى اختلافهم في التدبير وفساد الكون، قال السيد الطباطبائي في تفسير الآية الكريمة وبيان العلاقة بين التعدد والفساد: **(إن اختلاف الآلهة في ذواتهم يؤدى إلى اختلافهم في التدبير، وذلك يؤدى إلى فساد النظام)** [الطباطبائي، ١٤١٥هـ، ج١٣، ص١٠٧].

وهو قريب مما أشار إليه الشيخ الطوسي في التبيان من أن التعدد علامة التمانع، وهو دليل الفساد، قال الشيخ الطوسي في تفسير الآية الكريمة وبيان العلاقة بين التعدد والفساد: **(لأنه لو صح إلاهان أو آلهة لصح بينهما التمانع، فكان يؤدي ذلك إلى أن أحدهما إذا أراد فعلا، وأراد الآخر ضده، إما أن يقع مرادهما فيؤدي إلى اجتماع الضدين، أو لا يقع مرادهما، فينتقض كونهما قادرين، أو يقع مراد أحدهما، فيؤدي إلى نقض كون الآخر قادرا، وكل ذلك فاسد، فإذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا)** [الشيخ الطوسي، ١٢٠٩هـ، ج٧، ص٢٣٨]، وما ذكره الشيخ الطوسي قد أخذه عن استاذه السيد المرتضى في كتابه الناسخ والمنسوخ [، السيد المرتضى، ٢٠٠٠م، ص٥١ .٥٢].

وأما الروايات الشريفة، فعلى قسمين:

الأول: الروايات الخاصة، ومنها ما رواه الشيخ الصدوق في التوحيد بسنده عن هشام بن الحكم، قال: **(قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما الدليل على أن**

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الله واحد؟ قال: "اتصال التدبير وتمام الصنع" كما قال عز وجل: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا") [الشيخ الصدوق، ١٣٩٨ ش، ص٢٥٠، ح٢].

ومنها ما رواه بسنده عن جابر بن يزيد، قال: **(سألت أبا جعفر عليه السلام عن شئ من التوحيد؟ فقال: إن الله، تباركت أسماؤه التي يدعى بها وتعالى في علو كنهه، واحد، توحد بالتوحيد في علو توحيده، ثم أجراه على خلقه فهو واحد، صمد، قدوس، يعبده كل شئ ويصمد إليه كل شئ، ووسع كل شئ علما)** [الشيخ الصدوق، ١٣٩٨ش، ص٩٣، ح٩].

فهذه المعاني المشار إليها في هذه الروايات لا يُستغنى عن العقل في إثباتها فهي تشير إلى ضرورة تنزيهه تعالى عن النقص، ولا سبيل لذلك غير العقل.

الثاني: الروايات العامة، وهي بيّنة الدلالة على ضرورة استعمال العقل في معرفته تعالى، ومنها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن أبي سعيد الزهري، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: **(كفى لأولي الألباب بخلق الرب المسخر، وملك الرب القاهر، وجلال الرب الظاهر، ونور الرب الباهر، وبرهان الرب الصادق، وما أنطق به ألسن العباد، وما أرسل به الرسل، وما أنزل على العباد، دليلا على الرب)** [الشيخ الكليني، **١٣٦٣ ش**، ج١، ص٨١، ح٦]، فدلالة الرواية ظاهرة في أن دليل الرب العقل مع تنوع مواد برهانه.

ومنها ما رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن أبي منصور المتطبب أنّ ابن أبي العوجاء سأل الإمام الصادق عليه السلام ما منع الله تعالى إن كان الأمر كما يقول الموحدون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟ فقال عليه السلام: **("وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك، وضعفك**

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

بعد قوتك..."، وما زال يعدد علي قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه) [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ ش، ج١، ص٧٦].

وهذه الروايات الشريفة ظاهرة الدلالة في أن وجوده تعالى على ظهوره لا يستغنى في إثباته عن العقل؛ إذ الله تعالى يُري عباده الآيات والعلامات وينبههم على ضرورة مشاهدة خلق السموات والأرض للإذعان بوجوده إلا أن هذه المشاهدات لا ينتفع بها من دون نظر العقل، فأقصى ما يمكن أن يصل الإنسان في معرفة الله تعالى هو مشاهدة نور عظمته كما دلّ على ذلك الروايات الكثيرة، ومنها مار رواه الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن يعقوب بن إسحاق، قال: كتبت إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: **(هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه؟ فوقع عليه السلام: "إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحب")** [الشيخ الكليني، ١٣٦٣ش، ج١، ص٩٥، ح١].

وروى بسنده عن ابن أبي نص، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، قال: **(قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "لما أسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل مكانا لم يطأه قط جبرئيل"، فكشف له فأراه الله من نور عظمته ما أحب)** [الشيخ الكليني، **١٣٦٣ ش**، ج١، ص٩٨، ح٨].

فهذه الروايات بيّنة الدلالة على أن الرؤيا أعم من البصرية وغيرها لا تتعدى نور عظمة الله تعالى، وأمّا وجوده تعالى فلا يتعدى العقل فهو الطريق إليه، فرؤيا الإنسان العامّة تكون مقدمة في البرهان العقلي على وجوده تعالى، وكلما كانت المقدمات واضحة وعظيمة كان البرهان أوضح وأعظم وأوقع في النفس.

ومن هنا يظهر أن مادة هذا المسلك قد أُشير إليها في آيات الكتاب الكريم وروايات العترة الطاهرة بل لعل دورها فيه أكثر من الإشارة والتأثير.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

الخاتمة

يمكن الإشارة إلى أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث ضمن النقاط الآتية:

١ . إنّ العلاقة بين العقل والنقل في الفكر الكلامي الشيعي في مسألة معرفة الله تعالى العقلية تكاملية بمعنى أن النقل يبدأ فيها من حيث ينتهي العقل.

٢ . إنّ معرفة الله تعالى على الرغم من وقوعها ضمن إطار المعرفة العقلية إلا أن حساسية المسألة وأهميتها دفعتا المتكلم الإمامي إلى استشراف موادها وترتيبها من النقل الوارد في المسألة على مستوى آيات الكتاب العزيز وروايات العترة الطاهرة.

٣ . إن دور النقل في معرفة الله تعالى تارة الإرشاد أي أن أصل المسألة عقلي فيه خفاء وغير ظاهر لمعظم العقول لذا يرشد إليه النقل وفقاً لقاعدة اللطف، وتارة أخرى التأكيد أي أن أصل المسألة عقلي وغير خفي وظاهر للعقول إلا أنه غاية في الأهمية فأكده النقل وفقا للقاعدة البلاغية؛ لأنّ التأكيد يأتي لبيان أهمية الموضوع، وتارة ثالثة التأصيل أي أن الأصل مع أنّه من الأصول العقلية إلا أنه مما يخفى عن العقول؛ لذا أصل له النقل وفقاً لقاعدة اللطف أيضا، ومن هنا فأصوله بلا ريب قرآنية بشكل كامل.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145
Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

المصادر والمراجع:

١. أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ١٣٧٠هـ، *المحاسن* (ط١) ، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني المحدث، طهران. دار الكتب الإسلامية.

٢. الجوهري إسماعيل بن حماد، ١٤٠٧هـ، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، الرابعة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت. دار العلم للملايين. بيروت.

٣. أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، ١٤٠٤، *معجم مقاييس اللغة* (ط٢)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، قم. مكتبة الإعلام الإسلامي.

٤. الخزاز القمي، ١٤٠١هـ، *كفاية الأثر*، (ط١)، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، قم. انتشارات بيدار.

٥. الزبيدي، ١٣٠٦هـ، *تاج العروس من جواهر القاموس* (ط١)، تحقيق: جماعة من المختصين، بيروت. دار مكتبة الحياة.

٦. السيد المرتضى على بن الحسين الموسوي، ١٤٢١هـ، *الآيات الناسخة والمنسوخة* (ط١)، بيروت. مؤسسة البلاغ.

٧. السيد المرتضى، ١٤١٤هـ، *رسائل السيد المرتضى* (ط٤)، قم. مؤسسة النشر الإسلامي.

٨. الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين القمي، ١٣٩٨ش، *التوحيد* (ط١)، تحقيق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، طهران. مكتبة الصدوق.

٩. الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين القمي، ١٤٠٦هـ، *من لا يحضره الفقيه* (ط٢)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، قم. مؤسسة النشر الإسلامي.

١٠. الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين القمي، ١٤١٧هـ، *الأمالي* (ط١)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة. قم. مؤسسة البعثة.

١١. الشيخ الصدوق، ١٤٠٤هـ، *عيون أخبار الرضا عليه السلام* (ط١)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، بيروت. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي

Ministry of Higher Education and Scientific Research
University of Kufa
Journal of Jurisprudence Faculty
Iraq-An'najaf
مجلة كلية الفقه
ISSN (Print): 1995-7971
ISSN (Online): 3080-1435
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
مجلة كلية الفقه
العراق/النجف الأشرف
مجلة علمية فصلية محكّمة تصدر عن كلية الفقه / جامعة الكوفة

١٢. الشيخ الطوسي، ١٢٠٩هـ، *التبيان في تفسير القرآن* (ط١)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، قم. مكتب الإعلام الإسلامي.

١٣. الشيخ الكليني محمد بن يعقوب، ١٣٦٣ش، *الكافي* (ط٥)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، طهران. دار الكتب الإسلامية.

١٤. الشيخ المفيد، ١٤١٤هـ، *أوائل المقالات* (ط٢)، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، بيروت. دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع.

١٥. الشيخ محمد رضا المظفر، ١٤١٢هـ، *المنطق* (ط٢)، قم. مؤسسة النشر الإسلامي.

١٦. صدر الدين محمد الشيرازي، ١٩٨١م، *الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة* (ط٣)، بيروت. دار إحياء التراث العربي.

١٧. العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ١٤١٥ هـ، *الميزان في تفسير القران* (ط٧)، قم. مؤسسة النشر الإسلامي.

١٨. ابن منظور، ١٤٠٥هـ، *لسان العرب* (ط١)، قم. نشر أدب الحوزة.

DOI: https://doi.org/10.36324/fqhj.v1i51.19145

Journal of Jurisprudence Faculty by University of Kufa is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.
مجلة كلية الفقه – جامعة الكوفة مرخصة بموجب ترخيص المشاع الإبداعي ٤,٠ الدولي